الثقافة الحجاجية في الأمثال الشعبية: المثل الجزائري أنموذجا

The argumentative culture in popular proverbs: The Algerian proverb as a model

سارة معاش[1]
جامعة باجي مختار –عنابة–
sara.maache@univ-annaba.dz
د.نورة جبلي
جامعة باجي مختار–عنابة–
Noura.djebli@univ-annaba.dz

تاريخ الوصول 2021/01/04 القبول 2021/08/11 النشر على الخط 2022/01/15
Received 04/01/2021 Accepted 08/10/2021 Published online 15/01/2022

ملخص:

يهدِّف هذا البحث إلى دِّراسة الأبعاد الحجاجيّة في الأمثال الشعبيّة من خلال تحليّل نماذج من الأمثال واستخراج الطاقة الحجاجيّة فيها، مع بيان الدور الحجاجيّ للمثل الشعبيّ ومدى تأثيره في المتلقي ودعوته للتسليم بالغاية الكبرى المضمرة خلفه.

وقد خلص البحث إلى أن المثل الشعبيّ خطاب حجاجيّ على الصعيد الداخليّ والخارجيّ، فعلى الصعيد الداخليّ يكون المثل خطاب حجاجيّ في بنيته اللغويّة و التصويريّة، أما على الصعيد الخارجيّ فهو حجة في خطاب حجاجيّ آخر إذ يحمل المثل ثقافة حجاجيّة تمكنه أن يكون ضرباً من ضروب الاستدلال التخاطبيّ في الحياة اليوميّة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الحجاجيّة، الأمثال الشعبيّة، الإقناع، الخطاب الحجاجيّ، الأبعاد الحجاجيّة.

Abstract:

This research aims to study the argumentative elements in popular proverbs by analyzing examples of proverbs and extracting argumentative elements in them with an indication of the argumentative role of the popular proverb and the extent of its persuasiveness to the recipient.

The research concluded that the popular proverb is a argumentative discourse on the internal and external level. On the internal level the proverb has a argumentative structure in its linguistic and rhetorical structure. On the external level, the popular proverb is an argument in another argumentative discourse.

Keywords: The argumentative culture؛ popular proverbs ؛persuasion; the argumentative discourse; the argumentative elements.

[1]– المؤلّف المرسل: سارة معاش البريد الإلكتروني: **maaches31@gmail.com**

1. مقدمة:

الثقافة هي طريقة الحياة التي يشترك فيها الأفراد والجماعات وتكتسب باكتسابهم العضويّة في المجتمع، وتبرز ملامحها في الإنتاج المادي الملموس وغير المادي كالتجارب اليوميّة، والخطابات الشعبيّة والممارسات الكلاميّة والأساليب التعبيريّة والبلاغيّة والجدليّة وغيرها.

وبناء على هذا الطرح تسعى الدّراسة للبحث في ثقافة أسلوب خطابيّ ومنهج تداوليّ تتفاعل فيه أطراف معنية بالعمليّة الإقناعيّة، ونحن هنا نقصد ثقافة الحجاج في المثل الشعبيّ، هذه الثقافة البلاغيّة التي يحملها المثل الشعبيّ والتي تمثل ضرباً من ضروب الاستدلال التخاطبيّ في الحياة اليوميّة. وتتجلي أهمية الموضوع في أمرين: أحداهما تتمثل في المكانة الكبيرة التي حظيت بها النظرية الحجاجيّة في المباحث اللسانيّة و التداوليّة، و ثانيها في أهميّة المثل الشعبيّ في الخطاب اليوميّ إذ إن المثل الشعبيّ شحنة إقناعيّة وإمتاعيّة مخزنة في قالب لغويّ، لذا تهدف الدّراسة إلى بيان الطاقة الحجاجيّة لهذا النمط الخطابيّ، وفي أثناء هذا تتساءل عن الأبعاد الحجاجيّة للأمثال الشعبيّة؟.

وقد اعتمدنا في هذا على المنهج الوصفي التحليلي في الجانب النظري، والمنهج التداولي في الجانب التطبيقي، وتجدر الإشارة –هاهنا– أن الدّراسات السابقة في الموضوع نادرة من حيث زاوية الرؤية والمنهج المعتمد فيها؛ وعليه تعد دراسة عبد الوهاب سويسي (حجاجية الترغيب في العمل والتحضيض عليه: المثل الشعبيّ التونسيّ أنموذجا) ودراسة نور الدين مومنين (البعد التجاريّ للمثل المغربيّ: مقاربة حجاجيّة) الرائدتين في هذا المجال إضافة إلى الدّراسة التي نسعى تقديمها.

2.تحديد المفاهـــــيم:

1.2 . الثقافة الحجاجية : (The argumentative culture)

الثقافة الحجاجيّة مصطلح مركب من لفظتين (الثقافة) و(الحجاج) ولا يمكن لنا تعريفها إلا بعد تسليط الضوء على مفهوم كلا منها على حدة للوصول للمفهوم الاجرائي للثقافة الحجاجيّة التي نقصدها.

1.1.2 تعريف الثقافة: (The Culture)

أصل كلمة الثقافة في المعاجم العربية مأخوذ من الفعل (ثقف) ويحتمل عدة معان منها: الحذق والفطنة و والذكاء وسرعة الفهم والتعلم وتقويم المعوج من الأشياء وتسويته، وإدراك الشيء والحصول عليه، والتهذيب والتأديب[1] ولعل المقصود بالتهذيب والتأديب الصفة الحاصلة بحصولها في النفس البشرية. كما تعنى الظفر والتمكن من الشيء عموما؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾[2] فالمعنى اللغويّ للجذر ثقف واسع غير أن هذه الدلالات اللغويّة التي يكتسبها المصطلح في الحقول المعجميّة ليست هي على وجه المطابقة المقصودة في الدلالات الاصطلاحية.

[1] ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ج4،ط1، 1960، ص 98.

[2] سورة الممتحنة، الآية 2.

أما اصطلاحا فقد تباينت المفاهيم واختلفت الرؤى لدى الباحثين في تعريف مصطلح الثقافة(The Culture) ويعد تعريف منظمة اليونسكو عام (2001) من أشمل التعريفات و أوسعها إذ عرفتها على أنها: «جميع السمات الروحيّة، والماديّة، والفكريّة، والعاطفيّة التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعيّة بعينها وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة [...] والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وتجعل منه كائنًا يتميز بالإنسانيّة ، والقدرة على النقد، والالتزام الأخلاقيّ، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل»[1] فهي إذن وباختصار طريقة الحياة بكل تفاصيلها. فلم تعد الثقافة حكرًا على المجال الجماليّ الرفيع، والإنتاج المعرفيّ الضخم فحسب؛ بل اتسع مجالها المعنويّ لتشمل كل جزيئات الحياة في الكيان الفرديّ، والكيان الاجتماعي؛ فحراكُ الناس اليوميّ، عاداتهم ،قناعاتهم، وتصرفاتهم، أساليب عيشهم، ومحادثاتهم، وغيره ترجمان لحالة ثقافيّة معينة.

2.1.2 تعريف الحجاج: (The argumentative)

تتمركز معاني مادة(حجج) في المعاجم العربيّة حول المجادلة والبرهنة والمغالبة بالحجة، قال الأزهري: «الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجّه يحجه حجا: غلبه على حجته واحتج بالشيء: اتخذه حجة»[2] فالحجّة عند ابن منظور الدليل الذي يحدث به الظفر عند المنازعة، وجدِل هو الرجل المحجاج أيّ من اعتمد على الحجة أو كثر استعماله لها .

أما في الاصطلاح فلا تختلف دلالاته عن معناه اللغويّ فهو: « كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها»[3] والمقصود بالاعتراض الرد بالحجة؛ فالمنطوق الموجّه لا يقوم دون حجّة ولا يكون الرد باعتراض إلا بالحجة، وبين الأخذ بالحجة والرد عليها فن إقناع وإمتاع يصلح أن يقال فيه من باب فنّ الكلام ثقافة الحجاج.

وعليه يكون المقصود بالثقافة الحجاجيّة الفنّ الكلاميّ الذي يستحضره المخاطب في حديثه قصد إحداث تأثيّر وتغيير في معتقد أو سلوك ما، الفن الذي يمارسه السلطان على عرشه، والرئيس مع شعبه، والأب مع ابنه، والأستاذ مع تلميذه، والجار مع جاره لكسب عقول مستمعيّه وإقناعهم.

2.2 تعريف الأمثال الشعبية: (Popular proverbs)

المثل في اللغة من: الشبه، النظير، العبرة، الحجة، الصفة، ويقال:« المثل الشيء الذي يُضْرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه وفي الصحاح ما يُضرب به من الأمْثال، قال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته، قال ابن سيده: وقوله عزوجل من قائل: (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)[4].

[1] على ناصر كنانة، الثقافة وتجلياتها السطح والأعماق، مؤسسة الرحاب الحديثة لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2017، ص12.
[2] ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، ج4، دت ، ص38.
[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص226
[4] سورة الرعد، الآية 35.

قال الليث مثلها هو خبر عنها، وقال أبو إسحاق معناه صفة الجنة»[1] فالدلالة اللغويّة للمثل تحمل دلالات كثيرة فقد تكون التسويّة فيقال مثله ومثله، وعلى الصفة كما جاء في معنى الآية الكريمة، كما يدل على الحجّة أيضا، وكثيرًا ما يكون المثل الحجّة التي يضرب بها في سياق الكلام.

أما في الاصطلاح فيقصد به التعبير اللفظيّ المتداول الذي وصلنا من الأجداد والآباء «بغير تبديل أو تغيير في لفظه الحرفيّ الذي ينطوي على تجارب إنسانيّة وتراكمات للخبرة والمعاناة التاريخيّة»[2] فالمثل الشعبيّ موروث عريق عاكس للتجارب الإنسانيّة ونتائجها، واختزانه للمعارف والخبرات الحياتيّة جعل منه خطاب حجاجيّ يستدل به في مواقف الحياة، بل ثقافة حجاجيّة تظهر بنيتها في جل مستوياته اللغويّة والبلاغيّة والتداوليّة.

3.2 .الأبعاد الحجاجيّة في الأمْثال الشعبيّة:

تتجلى ثقافة الحجاج في الأمثال الشعبيّة في المستوى اللغويّ والبلاغيّ والتداوليّ فالأمْثال الشعبيّة كغيرها من الخطابات تختزن طاقات حجاجيّة عالية تمكن مستعمليها من الإقناع والإمتاع بها.

1.3.2.المستوى اللغوي:

يقول رضوان الرقبي إن «الحجاج ليس عنصرًا خارجًا عن اللغة، أو يضاف إليها بل هو يسرى فيها سريانًا طبيعيًا» [3]ومعرفة الحجاج هو معرفة اللغة ونظامها، ومفرداتها من الأسماء والصفات والظروف، والحروف والتراكيب و الروابط و العوامل التي رتبتها وربطتها وقدمتها في أبلغ صورة لتؤدي وظيفتها الحجاجيّة.

وقد أطلق على المعرفة التي تهتم بالجوانب اللغويّة في النظريّة الحجاجيّة بالحجاج اللغويّ أو الحجاج اللسانيّ، وهو الحجاج الذي أسس له العالمان ديكرو وأنسكمبر في كتابهما الحجاج في اللغة، وقد عرفاه على أنّه: «تقديم المتكلم قولاً(ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر(ق2) فهو يعتمد [الحجاج] على عمل التصريح بالحجّة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحًا بها أو ضمنيّة»[4]

أيّ أنّ القول الأول(ق1) الذي يقدمه المتكلم يصبح حجة ودليلاً يؤدي في نهاية المطاف إلى تحقيق نتيجة (ق2) ولا يكون هذا إلا بواسطة روابط وعوامل تربط الحجج وتثبت النتيجة؛ لذا عد من أهم الإجراءات التي تكشف عن حجاجيّة القول في الخطاب.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج4، ص611.

[2] فاطمة المزروعي، أفكار بعد منتصف الليل ، دار الهدهد للنشر والتوزيع، ،الإمارات العربية، ط1، دت، ص158.

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، ع2،ج40، 2011، ص86.

[4] J.C.Anscombre et O.Ducrot, l'Argumentation dans la langue, Edition Mardage, liége-Bruscelles, 2éme édition, 1988, p p08-11.

1.1.3.2.الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجيّة هي المؤشر الأساسيّ والجوهريّ، وهي التي تربط بين الحجج وترتبها، وتحتوى اللغة العربيّة على عدة روابط حجاجيّة شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى ومنها: (بل، لكن، لا سيما، حتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، الام، كي...)[1] والمثل الشعبيّ يتوفر على هذه الروابط وروابط أخرى من البيئة الشعبيّة.

وسنحاول أن نرصد بعض هذه الروابط الحجاجيّة في الأمْثال الشعبيّة الجزائريّة وندرس وظيفتها وقيمتها الإقناعية.

–الرابط (لوكان):

من الروابط المتداولة في النصوص الشعبيّة خاصةً تلك التي يكون فيها العرض لأطروحة ما ونقيضتها، أو عرض لأطروحة والإتيان بحجتها، أو نتيجتها ومن ذلك ما جاء في نص المثل الشعبيّ التالي:

لا تقنط لوكان في قلب الحية، ولا تفرح لوكان في الاعتقاد تسير[2]

- النتيجة 1 لا تقنط.←
- الرابط : لوكان.←
- الحجة 1: في قلب الحية.←
- النتيجة 2: لا تفرح←
- الرابط: لوكان. ←
- الحجة2 : في الاعتقاد تسير.←

فالرابط الحجاجيّ (لوكان) ربط بين النتيجة وحجتها، فتوسط بين النتيجة والحجة ليؤدي المعنى البلاغيّ المقصود ولو عوضنا الرابط الحجاجيّ (لوكان) برابط آخر من نفس الدلالة من قبيل(و إن كنت) يتحقق المعنى ولكن ليس بنفس البلاغة ولا القوة الحجاجيّة؛ فالرابط لوكان إضافةً لربطه بين الحجة ونتيجتها زاد المعنى بلاغة.

–الرابط (حتى):

هي من الروابط المتساوقة حجاجيًا والمدرجة للحجج، ولها دور في ترتيب الحجج من ذلك قول صاحب المثل:

مشي حتى لبر النساء وجاب عجوز[3]

معناه: ذهب لبلاد النساء ورجع بعجوز، ويقال لمن يخطئ لضعف عقله أو لعجزه عن القيام بأي أمر.

-الحجة 1: مشي. ←

[1] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2012، ص55.

[2] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالمثال يتضح المقال، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط1، دت، ص 65.

[3] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2015، ص 189.

-الرابط: حتى. ←

-الحجة2: لبر النساء ←

-النتيجة: جاب عجوزة. ←

نجد في هذا المثال أن الرابط (حتى) قام بربط بين الحجتيّن التي تسبقه والتي تليه ثم وصلهما مع النتيجة بمساعدة الرابط (الواو).

-الرابط(الواو):

يعمل حرف الواو حجاجيًا من خلال ترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض لتقوية النتيجة المطروحة ودعمها، ولنأخذ المثال الشعبيّ التالي مثالاً على الوظيفة الحجاجيّة للرابط:

الطماع يبات ساري يحلم بالتفاح والتفاح سومو غالي وأماليه شحاح[1]

يقال المثل لشخص شديّد الطمع يضيع وقته وجهده مع ناس بخلاء لا يعطونه شيئًا يأمله منهم، والحجج الواردة في هذا المثل مرتبة على الصعيد التالي:

(ن: الطماع يبات يحلم بالتفاح)

أماليه شحاح ح2

الواو رابط

التفاح سومو غالي ح1

-الرابط (الفاء):

من الروابط الحجاجيّة التي لها أثر فاعل في ترتيب الحجة وربط النتائج بالمقدمات، إذ تقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة نحو الربط بين الحجة سابقة و نتيجة لاحقة أو بين مجموعة حجج، ويسهم الرابط الحجاجيّ الفاء في بناء النص وانسجامه[2] فدورها الدمج بين الحجج وتقويتها لتحقيق النتيجة المرغوب فيها.

لأصحاب فوسع ياما منهم وفضيق ما تلقاش واحد منهم[3]

يقال هذا المثل لمن له أصدقاء كثر في حياته ولكن في وقت الشّدة لا يجد أحدًا منهم، وقد عرض صاحب القول للحجة (لأصحاب فوسع ياما منهم) بالرابط الفاء الذي ربط بين النتيجة (فالضيق ما تلقاش واحد منهم) وحجتها مما أدى لانسجام نص المثل وتناغمه.

-الرابط(لكن):

[1] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالمثال يتضح المقال، ص 102.

[2] حازم طارش حاتم ، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم دراسة حجاجية، أطروحة دكتوراه، إشراف لطيفة عبد الرسول عبد الضايفي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 2014، ص118.

[3] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالمثال يتضح المقال، ص266.

من أدوات الاستدراك؛ ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها وهي لا تقع إلا بين متناقضيّن بوجه ما، وتعد من الروابط الحجاجيّة التي تظهر طاقة حجاجيّة لأطروحة على أخرى «وتميل (لكن) إلى أن تستنتج من (أ)نتيجة ما لا ينبغي القيام بها ذلك لأن (ب) صحيحة مثل(أ) تقترح النتيجة المضادة»[1] يقول صاحب المثل:

الذبانة ما تقتل لكن تخبث القلب[2]

معناه: أن الشتائم والاعتداءات الصادرة من شخص تافه هي مثل اعتداء الذبابة عندما تقع في اللبن أو الشاي أو أي شيء يأكل لا يترتب على ذلك أي أمر خطير إلا أنها تزعج وتكدر، فقائل المثل يعبر عن ازدرائه لأمثال هؤلاء الناس[3]. والبنية الحجاجيّة لهذا المثل كما يلي:

-الحجة: الذبانة ما تقتل.

-الرابط: لكن.

-النتيجة: تخبث القلب.

2.1.3.2.العوامل الحجاجية:

يعرف العامل الحجاجيّ على أنه: تضييق وتقييد للإمكانات الحجاجيّة التي نجدها في قول ما، وتوجه نحو نتيجة معينة (بمعنى الحد من عدد النتائج) فضلاً عن كونه يرتقي بالملفوظ من الوظيفة الإبلاغيّة إلى الوظيفة الحجاجيّة[4] إذ يعين المتلقي على استنتاج النتيجة الضمنيّة التي لم يصرح بها المتكلم أثناء حجاجه فإذا قلنا: ما خرج من المنزل إلا عمرو؛ ففي هذا المثال اعتمد المتكلم على أسلوب القصر من خلال النفي (ما) والاستثناء (إلا) ليوضح نتيجة مفادها أنه (لم يخرج أحد من المنزل باستثناء عمرو) في سياق كلامي خاص يكون في اعتقاد المتلقي على خلاف هذا.

ومن الأمثال الشعبيّة نأخذ النماذج الآتية:

-العامل الحجاجي (ما...غير):

يفيد هذا العامل القصر والقصر« ضرب من ضروب التوكيد، وتكرير لجملة الخبر الابتدائي مرتين أو أكثر، فهو عند بعضهم توكيد مضاعف بمنزلة مؤكدين إذ ليس القصر إلا تأكيد على تأكيد»[5] ودخول أحد أدواته على الجملة الخبريّة الابتدائيّة قادر على اخراجها من الطاقة الإبلاغيّة إلى الطاقة الحجاجيّة [6] ومثال ذلك:

ما يقعد في الواد غير حجاره[1]

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطابعة والنشر والتوزيع، المغرب،ط1، 2009، ص27.

[2] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، المرجع السابق، ص85.

[3] قادة بوتان ، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، ص89.

[4] ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص63.

[5] صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي ، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص ص 256.257.

[6] ينظر : جلال عدوى، الأبعاد الحجاجية والإدراكية في المساجلات الشعرية، دار النابغة لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2020، ص137

بإسقاط حجاجية القصر على المثل الشعبيّ نجد أن الحجة (ما يقعد في الواد غير حجاره) تتجه في نفس اتجاه حجة (يقعد في الواد غير حجاره) وهما يقودان لنتيجة ضمنية واحدة مفادها (ما يصح إلا الصحيح وما يدوم إلا الحق) فالعامل الحجاجيّ الذي يفيد القصر(ما...غير) المقابل لـ(لا...إلا) في اللغة العربيّة يقصر الاحتمالات ويقيدها في احتمال حجاجيّ واحد المتمثل في (لا يبقي إلا الحق).

-العامل الحجاجي (ما....إلا):

من طرق القصر في اللغة العربيّة و التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الإقناعيّة إذ إنّ (ما ....إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه[2] مثال على ذلك:

ما يوكل من واش جاب إلا الداب[3]

يضرب المثل لمن يأخذ الطعام والمؤنة للفقراء أو الأقارب ويطلب أكل ما أعطاهم من غلة؛ فالمتكلم باستعماله العامل الحجاجيّ (ما ...إلا) يؤكد لمتلقيّه أنّ الشخص من هذا القبيل لا يكون إلا (حمارًا لا يفهم) لذلك يطلب أكل ما يأخذ للناس من إكراميات وخيرات. وتكمن قوة العامليّن أيضا في تحديد الحجّة وبيانها فلو حذفناهما لأصبح نص المثل ذو دلالة إخبارية عادية خالية من الأبعاد الحجاجيّة التأكيدية : "يوكل من واش جاب الداب".

3.1.3.2.السلم الحجاجي:

يعرف السلم الحجاجيّ على أنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية تلتزم بشرطين؛ يتمثل الشرط الأول في أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، في حين ينص الشرط الثانيّ على أنّ كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين وكان ما يعلوه مرتبة أقوي منه حجّة[4] وسنحاول إسقاط هذا المفهوم على بعض الأمثال الشعبيّة .

كاين الصبر الي يجبر وكاين الي يدبر وكاين الي يوصل للقبر[5]

أيّ أنّ هناك صبر يريح النفس وصبر يقرح وصبر يؤدي إلى القبر، ويضرب المثل في سياقات التي تنص على أنّ للصبر حدودًا ولا ينبغي أنّ يصبر الإنسان على ما قد يصدر من بعضهم من التعسف والتجاوز[6]

---

[1] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص195.

[2] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان،ط1، 2010، ص 56.

[3] المرجع السابق، ص132.

[4] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،المرجع السابق، ص277.

[5] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، المرجع السابق، ص 120.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

ن (لصبر حدود)

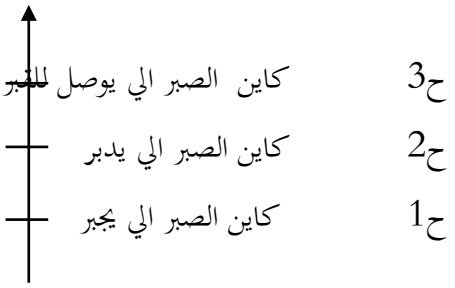

2.3.2.حجاجية التراكيب:

للتراكيب دور بارز في الوصول إلى المعانيّ؛ ففرق شاسع بين قولك: ضرب موسى علي، وقولك: زيد قاد السيارة، وقولك: قاد السيارة زيد فالثانيّ إجابة لسؤال: ماذا فعل زيد؟ والأول إجابة لسؤال من قاد السيارة؟ فالاختلاف اختلاف المعانيّ، فلا يؤدي تركيبان مختلفان في الصياغة المعني ذاته مطلقًا، ولأجل هذا كان للتراكيب وحسن الصياغة أثر كبير في العملية الحجاجيّة[1].

ومن التراكيب اللغويّة الأساليب الإنشائيّة المسماة في التداوليّة بالأفعال الإنجازيّة؛ لأنها تنجز عملاً فعليًا انطلاقًا من قول كلاميّ، ولا يكون هذا إلا عن طريق فعل تأثيري كامن في الأفعال القوليّة التي تؤثر بدورها في المتلقي وتؤدي به لإنجاز الفعل المرغوب فيه، وهذا ما يضفي على الأفعال اللغويّة صفة الحجاجيّة ومن الأعمال اللغويّة ذات البعد الحجاجيّ في المثل الشعبيّ الاستفهام والأمر والنهي.

1.2.3.2.الاستفهام:

يتخذ المتكلم من الاستفهام وسيلة لتحقيق عدد من الأغراض الدلاليّة والغايات الحجاجيّة لما يحمله من حمولة إقناعيّة كامنة في الافتراضات الضمنيّة غير المصرح بها، ومثالاً على ذلك ما جاء في المثال الشعبيّ الآتي:

واش يعمل الميت في يد غسالو؟[2]

تدل المساءلة الشعبيّة على معنيين: معنى ظاهري للمثل يستفسر عن ما يفعل الميت في يد من يقوم بغسله عند موته؟ والعاقل يعلم أنّ الميت هو الذي فارق الحياة إثر توقف جميع أعضاء جسمه عن العمل قلبه وعقله...إلخ، فهو لا يقدر على شيء لأنّه غادر الحياة. ومعنى باطني مفاده ماذا يفعل المحكوم في يد حاكمه؟ وهو مربط الفرس وموطن الحجة فالمساءلة الحجاجيّة صورت لنا مدى الضعف البدني والمعنوي الذي يعيشه المقصود من المثل، فلا يستطيع أنّ يفعل أيّ شيء وهي صورة مطابقة إلى أبعد حد الصورة التي يكون عليها الميت في يد من يقوم بغسله عند الموت، وهنا تكمن حجاجيّة السؤال الذي نقل حال المتكلم للمتلقي وجعل الصورة تتضح في ذهن متلقيه لكي تسهل عليه عملية إدراك الموقف كما هو عليه بالفعل.

[1] ينظر: جلال العدوي، الأبعاد الحجاجية والإدراكية في المساجلات الشعرية، ص 118.

[2] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، ص 130.

2.2.3.2.الأمر:

الأمر كالاستفهام يحمل حمولة إنجازيّة ذات طاقة حجاجيّة؛ فهو فعل كلاميّ ذو خصائص استدلاليّة لا يتم تداركها في صيغة الملفوظ فحسب، بل انطلاقًا من عمليات استدلاليّة، وبالنظر إليه على أنّه نتاج عملية الإظهار والإضمار الذي تولده ملابسات الخطاب الخاصة، والذي يتقاطع في عملية الإنتاج والتأويل كي نصل إلى أبعاد حجاجيّة يعقدها المرسل ويفككها المرسل إليه[1]وما أروع الأمثال الشعبيّة إذ تتناول فعل الأمر، فنادرًا ما تحققت الوظيفة الحقيقية للأمر فيها؛ إذ دائما يكون لفعل الأمر حمولة حجاجيّة يقصدها قائلوا الأمْثال، فقد وظفوا فعل الأمر توظيفًا حجاجيًا، ولنأخذ المثال الآتي على سبيل التمْثيل:

ابكي يا قلبي على الي ماتو ومتبكيش علي لي فارقك في حياتو[2]

إنّ الفعل (ابكي/متبكيش) فعل أمر أصدره صاحبه لغاية إقناعيّة ما؛ فالفعل اللغويّ (ابكي/متبكيش) في المثل يحمل قوة إنجازيّة ذات بعد حجاجيّ مفادها لا يستحق البكاء إلا الميت، وهي النتيجة الضمنيّة الصادرة عن الحجتين الصريحتين:

- ح1: ابكي يا قلبي على الي ماتو. ⟵
- ح2: متبكيش على لي فارقك في حياتو. ⟵
- ن1= البكاء لا يجوز إلا على الميت.
- ن2= لا يستحق البكاء إلا الميت.

3.2.3.2.النهي:

وهو أيضا من الأفعال الإنجازية التوجيهيّة ذات الحمولة الحجاجيّة، ويمكن أن نمثل له بالمثل الشعبيّ الآتي:

لا تقنط لوكان في قلب الحية، ولا تفرح لوكان في الاعتقاد تسير[3]

معناه: لا تيأس مهما كان الأمر خطيرًا، ولا تفرح كثيرًا مهما تيسرت الأمور؛ ويضرب المثل في سياق تشجيع شخص على التمسك بالهدوء والمقاومة لمواجهة الظروف الصعبة لأنّها عابرة، كما أنّه يجب ألا يفقد صوابه من فرط الاعتباط لحدث يفرح، و بمعنى آخر يجب أنّ يتصرف الإنسان تصرفًا سليمًا وأنّ يتعقل في جميع الظروف[4]

والمثل في رسالته احتوى على فعلين إنجازين(لا تقنط/لا تفرح) بمثابة حجة لغويّة تفيد نتيجة واحدة مفادها (تعقل في جميع الظروف).

- ح1 لا تقنط لوكان في قلبه الحية. ⟵
- ح2 لا تفرح لوكان في الاعتقاد تسير. ⟵
- ن= تعقل في جميع الظروف.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص167.
[2] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، ص 84.
[3] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص162.
[4] ينظر: المرجع السابق، ص150.

3.3.2.المستوى التصويري:

نعنى بالمستوى التصويري الصور البلاغيّة التي تسعى لاستمالة المتلقي والتأثير فيه والتي تؤدي دورًا فاعلاً في العملية الحجاجيّة كالاستعارة، والتمثيل، والمجاز...إلخ. وسنحاول في هذا المستوى أن نبرز الملامح التصويريّة البلاغيّة في المثل الشعبيّ وندّرس وظيفتها الحجاجيّة.

1.3.3.2.الاستعارة:

الاستعارة تشبيه حذفت جميع أركانه عدا المشبه أو المشبه به، وتظهر بلاغة الاستعارة وحجاجيتها في ارتكازها على المستعار منه إذ تكون بذلك[الاستعارة] أدعى من الحقيقة في تحريك همة المرسل إليه إلى الإقناع[1] إذ تكمن قوة الحجاج في الاستعمالات الاستعاريّة أكثر مما نحسه عند استعمالنا لنفس الألفاظ بالمعنى الحقيقي[2] ومثال ذلك:

المعاونة تغلب السبع[3]

يشتمل المثل على استعارة مكنية شبه فيها (المعاونة) بالشخص(الإنسان) الذي حذف وتركت أحد لوازمه وهي (التغلب على السبع) ويظهر بعدها الحجاجيّ في ارتكازها على جعل المعاونة من خصائص القوة من خلال الجو الخيالي الذي تضع فيه المتلقي فتؤثر في ذهنه وتجعله يدرك ويقتنع بأهمية التعاون.

2.3.3.2.الكناية:

الكناية «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»[4] أيّ أنّها لفظ يحقق قصد ما دون إيراد المعنى الحقيقي مع وجود قرينة تبين غاية المتكلم ومقاصده؛ وكثيرًا ما تأتي الحجج في شكل كنايات قصد الوصول إلى النتائج الحجاجيّة وتقريب المستمعين[المتلقين] من هدف الإقناع. وسنحاول في هذا الموضع توضيح كيف تكون الكناية في المثل الشعبيّ طاقة حجاجيّة.

يد وحدة ما تصفق[5]

-يد وحدة ما تصفق كناية عن التعاون. ←

يدل المثل (يد وحدة ما تصفق) في بعده الظاهري والمخفي عن التعاون والتكاتف لإتمام أمر ما، ففي ظاهر الكلام لا تتم عملية التصفيق إلا بوجود يدين ولا يمكن ليد واحدة أنّ تقوم بالمهمة في غياب اليد الأخرى في حين يوحى باطن الكلام أنّ الشخص لا يستطيع بمفرده إنجاز أيّ عمل جماعيّ دون مساعدة وعليه استعير الرمز الخارجيّ المعروف بـ(اليد) التي تدل هي الأخرى على دلالتيّن: (تدل على العمل، وعلى المساعدة) للتعبير عن كناية التعاون في العمل الذي يستلزم ثنائي أو أكثر لإتمامه وهنا تكمن الطاقة الحجاجيّة في الكناية.

---

[1] ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص496.

[2] ينظر: ميشيل لوجيران، الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، المغرب، ع4، 1991، ص ص87.88.

[3] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، ص53.

[4] الخطيب القزويني جلال الدين، الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص301.

[5] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص213.

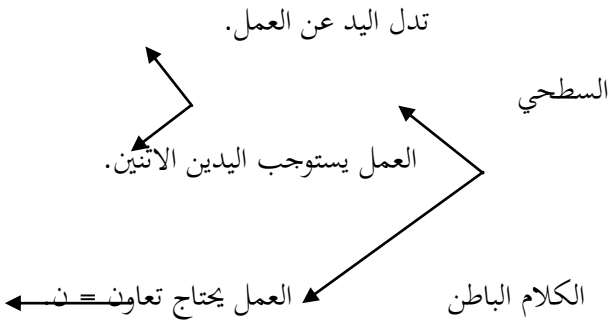

3.3.3.2.التشبيه:

يقصد به: «صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنّما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائه»[1] أي أنّ عملية التشبيه قائمة على عقد مشاركة بين شيئين في صفة ما على وجه المناسبة لا التطابق، وتكمن القوة الحجاجيّة للتشبيه من خلال عناصره التي تقود إلى بعث الدلالات التي تفتح خيال المتلقي، كالعلاقة بين المشبه و المشبه به[2] فالتشبيّه ليس مجرد حلية أو زينة لفظية بل هو يعبر عن النفس، ويصور ما يدور في الخاطر والعقل، ويقرب المسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس، فيجعل العقل يقبل العلاقات القائمة بين الأشياء، بل قد يقيم علاقات يأبى العقل أن يقبلها، فيجعل العقل يسلم بها ويقرها لا لشيء إلا لأنّها اشتملت على طرافة وإبداع[3]، ومثالاً على ذلك نأخذ:

فلان كالحنش ما يحفر غار ما يبات برا[4]

يضرب المثل في سياق الحديث عن الأشخاص المتطفلين الذين يستغلون الوقت المناسب للاستفادة من عمل غيره كما هو الحال عند الأفاعي التي لا تحفر غيرانها بنفسها ولكن تأوي لغيران غيرها[5] و يكمن البعد الحجاجيّ لتشبيه في أنّه قارب بين الصورتين ومثل صورة الشخص المنتهز أحسن تمثيل في ذهن المتلقي فارتسمت ملامح شخصيته بكل دقة في معالم فكره.

4.3.2. المثل الشعبي حجة في الاستعمال:

المثل الشعبيّ خطاب حجاجيّ على صعيدين صعيد داخلي وصعيد خارجي؛ فعلي الصعيد الداخلي يكون المثل خطاب حجاجيّ في ذاته في المستوى اللغويّ و المستوى التصويري (الاستعارة، الكناية، التشبيه...إلخ) أما على الصعيد الخارجي فهو حجة في خطاب حجاجيّ

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، ج1، 1981، ص256.
[2] رابح أومودان، بهجة أومودان، حجاجية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، مجلة بدايات، ج1، ع2، 2019، ص31.
[3] أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية في النشر العربي القديم، دار النابغة، القاهرة، ط1، دت، ص 137
[4] قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، ص201.
[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 201.

آخر؛ وهنا تكمن ثقافة الحجاج فيه ويتجلى هذا أكثر وضوحًا في المحادثات اليوميّة التي يكون فيها المثل الشعبيّ حجة وضرب من الأدلة التي يلجأ إليها المتكلم في محادثته لإقناع مستمعيه باعتباره [المثل الشعبيّ] خبرة حياتية مبنية على وقائع ونتائج سابقة.

ومن الأمثال الشعبيّة التي نسوقها تمثيلاً في هذا المقام المثل الشعبيّ (أنا بالمغرف لفمو وهو بالعود لعيني) الذي تداوله الشعب الجزائري بكثرة في خطاب الحراك السلمي الذي كان يعانيّ من تدخلات رجال الدرك والأمن «رغم أن الحراك يريد التغيير والتحرر لتحقيق التطور والتنمية التي تمس كل الفئات الاجتماعية، ومنهم فئة رجال الأمن والدرك»[1] إلا أنّهم تعرضوا للمضايقات من طرف الأمن فاحتج المتظاهرون عن الموقف بهذا المثل ليؤكد لرجال الأمن أنّ الفائدة تشمل الجميع ولا تمس طبقة دون أخرى فلا تكن كمن يتحدث عنهم المثل.

ومن الأمثال أيضًا (كي كان حي مشتاق تمرة وكي مات علقولو عرجون) الذي استعمله رواد الفيس بوك ومواقع التواصل الاجتماعيّ أثناء إعلان إطلاق مسابقات فنية متنوعة تكريماً "للراحل الأسطورة إيدير" حيث استعمل المثل كضرب من المحاججة على التكريم المتأخر.

4. خاتمة:

وبعد هذه الإطلالة المتواضعة التي تطرقنا من خلالها لبيان مفهوم الثقافة الحجاجية و أبعادها في الأمثال الشعبيّة، نورد أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1 - لم تعد الثقافة حكرًا على المجال الجمالي الرفيع، والإنتاج المعرفيّ الضخم؛ فقط بل اتسع مجالها المعنوي لتشمل كل تفاصيل الحياة.

2 - الثقافة الحجاجيّة الفن الكلاميّ الذي يستحضره المخاطب في حديثه قصد إحداث تأثير وتغيير في معتقد أو سلوك ما، فهي الفن الذي يمارسه السلطان على عرشه، والرئيس مع شعبه، والأب مع ابنه، والأستاذ مع تلميذه، والجار مع جاره لكسب عقول مستمعيه وإقناعهم.

3 - المثل الشعبيّ موروث عريق عاكس للتجارب الإنسانيّة ونتائجها، واختزانه للمعارف والخبرات الحياتيّة جعل منه خطاب حجاجيّ يستدل به في مواقف الحياة، بل ثقافة حجاجيّة تظهر بنيتها في جل مستوياته اللغويّة والبلاغيّة والتداوليّة.

4 - الأمثال لها طبيعة حجاجيّة بامتياز في بنيتها التركيبية والتصويرية .

5 - المثل الشعبيّ خطاب حجاجيّ على صعيدين الصعيد الداخليّ والصعيد الخارجيّ؛ فعلي الصعيد الداخلي يكون المثل خطاب حجاجيّ في بنيته اللغويّة والبلاغيّة أما على الصعيد الخارجي فهو حجّة في خطاب حجاجيّ آخر.

6 - السياق هو المتحكم في فعاليتها وناجعتها ضمن خطاب معين.

7 - المثل الشعبيّ ثقافة حجاجيّة.

[1] وليد بوعديلة، الأمثال الشعبية الجزائرية في صوت الحراك السلمي، مجلة رأي اليوم، ص3/2على الرابط:
http:// raialyoum,com/index.php (2019/08/09)

وفي الأخير أرى أنّ البحث يحتاج إلى تعمق أكبر ونفس أطول، كما يمكن أن نستثمر هذا البحث في دّراسة أثر المثل الشعبيّ في تحقيق الإقناع في المحادثات اليومية، والحكايات الشعبية؛ وذلك من خلال رصد وتحليل بعض المحادثات اليوميّة والقصص الشعبية التي يكثر فيها استعمال المثل الشعبيّ.

6. قائمة مصادر البحث ومراجعه:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.

2- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان،ط1، 2010.

3- ـــــــــ، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطابعة والنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2009.

4- أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية في النشر العربي القديم، دار النابغة، القاهرة، ط1، دت.

5- ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، دت .

6- الخطيب القزويني جلال الدين، الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

7- جلال عدوى، الأبعاد الحجاجية والإدراكية في المساجلات الشعرية، دار النابغة لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2020.

8- حازم طارش حاتم ، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم دراسة حجاجية، أطروحة دكتوراه، إشراف لطيفة عبد الرسول عبد الضايفي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 2014.

9- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

10- رابح أومودان، بهجة أومودان، حجاجية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، مجلة بدايات، ج1، ع2، 2019.

11- رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2015.

12- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، ع2،ج40،أكتوبر 2011.

13- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي ، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

14- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998.

15- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 .

16- فاطمة المزروعي، أفكار بعد منتصف الليل ، دار الهدهد للنشر والتوزيع، ،الإمارات العربية، ط1، دت.

17- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1960.

18- ميشيل لوجيران، الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، المغرب، ع4، 1991.

19- وليد بوعديلة، الأمثال الشعبية الجزائرية في صوت الحراك السلمي، مجلة رأي اليوم، ص3/2على الرابط: *(2019/08/09) http:// raialyoum,com/index.php*

20-على ناصر كنانة، الثقافة وتجلياتها السطح والأعماق، مؤسسة الرحاب الحديثة لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2017.

21-قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية بالمثال يتضح المقال، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط1، دت.

22-J.C.Anscombre et O.Ducrot, l'Argumentation dans la -langue, Edition Mardage, liége- Bruscelles, 2émeédition, 1988.